ولمّا عاد إلى المدينة لم يعاتب ابن أبي ذئب([108]). ولمّا توفّي أبو ه زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهو غلام، وترك عليه ديناً أربعة آلاف دينار، فحلف السيد حسن ألاّ يظلّ رأسه سقف إلاّ سقف مسجد رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم)، أو بيت رجل يكلّمه في حاجة حتّى يقضي دين أبيه، فوفى بنذره، ووفّى دين أبيه([109]). ومن كرمه أنّه أُتي بشاب شارب متأدّب وهو عامل على المدينة، فقال: يا بن رسول ا لا أعود، وقد قال رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم): «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم» وأنا ابن أبي أُمامة ابن سهل بن حنيف، وقد كان أبي مع أبيك كما علمت، فقال: صدقت، هل أنت عائده ؟ قال: لا وا، فأقاله وأمر له بخمسين ديناراً، وقال له: تزوّد بها وعُد إلى، فتاب الشاب، فكان الحسن يحسن إليه([110]). وكان الحسن والد السيدة نفيسة مجاب الدعوة، يقال: مرّت به امرأة وهو في الأبطح ومعها ولدها ! فاختطفه عقاب، فسألت الحسن أن يدعو ا لها بردّه، فرفع يديه إلى السماء ودعا ربّه، فإذا بالعقاب قد ألقى الصغير من غير أن يضرّه بشيء، فأخذته أُمه([111]). ودخل عليه بعض الشعراء فأنشده: ا فرد وابن زيد فرد فقال: بفيك الأثلب، ألا قلت: ا فرد وابن زيد عبد ونزل عن سرير الإمارة، وألصق خدّه بالأرض، يسبّح ا العلىّ الكبير([112]). وكان جليلا سريّاً سخيّاً، وفيه يقول الشاعر: